ابن عادل وتفسيره اللباب في علوم الكتاب

الدكتور محمد بن عبدالرحمن الشايع
قسم القرآن وعلومه ـ كلية أصول الدين
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

تقـــديـــم :

تعد ترجمة ابن عادل من التراجم المفقودة، والتي ضنت بها المصادر التي تعد مظنة لوجودها، ولذا نجد أن السيد محمد راغب الطباخ كتب عن ابن عادل كلمة في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق قبل أكثر من أربعين عاماً بعنوان: ترجمة مفقودة[1].

وقد رجعت إلى جملة سابغة من مظان مصادر ترجمته بين مطبوعها والمخطوط[2] فلم أقف له فيها على ذكر. ومما يزيد الأمر عسرا عدم تحدد عصره.

وما سوف أذكره لك هو ما أمكن استنتاجه وانتزاعه من عبارات هنا، وإشارات هناك.

اسمه :

عمر بن علي بن عادل الدمشقي الحنبلي النعماني، أبو حفص، سراج الدين[3].

كنيتـــه :

المشهور من كنيته: أبو حفص، كما هو في بعض مخطوطات تفسيره وكما ذكر ذلك الإمام الحافظ نور الدين الهيثمي في مجمع الزوائد[4] وقد تفرد الشيخ محمد بن حميد في كتابه: السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة بأنه أبو الحسن[5].

لقبـــه :

المشهور من لقبه أنه سراج الدين. غير إنه جاء في معجم الدراسات القرآنية أنه زين الدين. وهو خلاف المشهور[6].

نشأتـــه :

يظهـر من كلمـة «النعـماني» الـواردة في اسمه. والتي ذكرها البغدادي في هدية

العارفين[٧] أنه نشأ في بلدة «نعمان» يشهد لهذا ماورد في الجزء الأول من تفسيره الموجود بالمكتبة الأحمدية بحلب[٨] حيث ورد في آخره: «جمعه وعلقه لنفسه عمر بن علي بن عادل النعماني منشأ الحنبلي مذهبا».

ونعمان هذه اسم بلدة في كل من الحجاز والعراق والشام[٩] والأقرب أن المراد هنا هي البلدة الشامية. كما تهدينا كلمة «الدمشقي» في نسبه إلى أنه عاش بدمشق آخر حياته. واشتهر بنسبته إليها.

عصـــره :

يشتهـر أن المؤلف عاش في القرن التاسع استنادا إلى ما جاء في هدية العارفين للبغدادي[١٠] ونقله عنه الأستاذ عمر رضا كحالة في معجم المؤلفين[١١] من أن المؤلف فرغ من تأليف تفسيره في رمضان سنة (٨٧٩)هـ.

ويقول الشيخ محمد طاهر[١٢] في كتابه نيل السائرين إنه توفي سنة (٨٨٠هـ)[١٣].

ومثل ذلك ورد عند بروكلمان[١٤]. وقال الزركلي في الأعلام[١٥] إنه توفي بعد سنة ٨٨٠هـ ١٤٧٥م مستشهدا بما ورد في بعض النسخ حيث كتب في آخر سورة «طـه» أنه فرغ من تفسيرها في ١٥ رمضان سنة ٨٨٠هـ. ولو صح هذا التحديد لكانت وفاته بعد هذا التاريخ بسنين إذ إن مابقي من هذا التفسير بعد سورة «طـه» أقل من النصف بقليل وهو مايستغرق وقتا طويلا وبخاصة إذا علم طول نفس المؤلف في تفسيره.

وقد تردد الشيخ محمد بن حميد في تحديد عصر المؤلف هل كان في القرن الثامن أو التاسع مع الجزم بأنه من رجال أحد هذين العصرين فقال في كتابه السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة:

(. . . ولم أجد له ترجمة في الدرر الكامنة. ولا في الضوء اللامع وهو من رجال أحدهما بلاشك[١٦]. ثم قال عبارة تستدعي الوقوف عندها. إذ قال:

(. . . وأظنه ينقل عن أبي حيان في التفسير بِقال شيخنا، وروى عنه التقي الفاسي

المكي بعض المرويات. وكذا نور الدين الهيثمي في كتابه مجمع الزوائد. وكناه أبا حفص)[١٧].

ومن خلال الأدلة المتوافرة يترجح أن المؤلف عاش في القرن الثامن وربما أوائل التاسع وهي كما يلي:

١ ـ عبارة الشيخ ابن حميد السالفة، فإن أباحيان النحوي المفسر توفي سنة (٧٤٥هـ) على أنني لم أقف فيما طالعته من تفسيره أن يذكر أبا حيان بِقال شيخنا ورأيته في مواضع كثيرة ينقل عنه بقوله: قال أبوحيان.

والتقى الفاسي ـ الذي ذكره ابن حميد ـ هو محمد بن أحمد التقي الفاسي المتوفى سنة (٨٣٢هـ).

والهيثمي هو نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي المتوفى سنة (٨٠٧هـ) وقد نص الهيثمي في مقدمة كتابه مجمع الزوائد ص (١٢ـ١٣) أنه قرأ جزءاً من المعجم الكبير للطبراني على ابن عادل، فقال:

(. . . وأخبرني عبد القادر أيضاً بقراءتي عليه من أول الجزء الثاني والثمانين وأوله: ثنا أبو زيد القراطيسي فذكر حديث النعمان بن بشير أن أباه أتى به النبي صلى الله عليه وسلم ـ فقال: إني نحلت ابني هذا غلاما. . . . الحديث ـ وينتهي إلى تفسير حديث هند بن أبي هالة.

وأخبرني من هنا إلى باب اللام ألف: أبو حفص عمر بن علي بن عادل الحنبلي بقراءتي ـ أيضا ـ ثم قال الهيثمي ـ وأخبرني ابن الباجي المذكور من هنا إلى آخر الكتاب قالوا ثلاثتهم: عبدالقادر، ومحمد بن عادل، وعبدالله الباجي. . .)[١٨].

وهذا نص صريح من محدث كبير صرح فيه بالإخبار بقراءته على ابن عادل فينبغي أن يكون قاطعا.

٢ ـ ما ورد في الجزء الأخير من نسخة المكتبة الأحمدية بحلب[١٩] لهذا التفسير أنه كان الفراغ من كتابته سنة ست وسبعين وثمانمائة.

كمال جاء في الجزء الخامس من نسخة مكتبة تشستربتي رقم (٣٣٠٨) والذي يبدأ

بتفسير سورة مريم. وينتهي بتفسير سورة القصص أنه فرغ منه في (٢٢) رمضان من سنة (٨٦٠هـ)[٢٠].

وقد جاء في فهرس تلك المكتبة أن تاريخ النسخة رقم (٥٠٨٣) التي يوجد فيها الجزء الثاني والثالث والرابع هو يوم الخميس ١٦ ربيع الثاني سنة ٨٧٣هـ (٣ نوفمبر سنة ١٤٦٨م)[٢١].

وهـذا وذاك يعارض ما كتب في أواخر سورة «طـه» أنه فرغ من تفسيره في ١٥ رمضان سنة ٨٨٠هـ إذ لم تجر العادة أن يبدأ المفسر من آخر القرآن. فيترجح أن هذا التاريخ للنسخ لاللتأليف يتأيد هذا بعدم وجود هذا النص في نسخ كثيرة من هذا التفسير ولو كان النص بأن ١٥ رمضان سنة (٨٨٠هـ). للمؤلف لوجد في جميع النسخ. وقد طالعت أواخر سورة «طـه» في خمس نسخ قيمة مختلفة لهذا التفسير، ولم أقف فيه كلها على تلك العبارة. وهذه النسخ:

١ ـ نسخة خطية نفيسة جدا. توجد بمكتبة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض تحت رقم (٧٢٤٤/خ).

٢ ـ نسخة أخرى مصورة على فيلم، برقم (٢٧٤١/ف).

٣ ـ نسخة أخرى من مصورة نسخة الخزانة العامة بالرباط برقم (٢٠٤ (١ـ٢) ٢٠٥).

وهذا الجزء يبدأ بسورة الإسراء وينتهي أثناء تفسير الآية (٤٦) من سورة سبأ. ورقمه في مكتبة جامعة الإمام (٦٢٢٧/ف).

٤ ـ الجزء الخامس المصور عن نسخة مكتبة تشستربتي والذي يبدأ بتفسير سورة مريم وينتهي بتفسير سورة القصص. ورقمه في مكتبة جامعة الإمام (٣٣٠٨/ف).

٥ ـ الجزء الثاني من نسخة مكتبة (طوبقبو سراي) والذي ختم بآخر سورة «طه» ورقمه في مكتبة الجامعة الإمام (٨٨٩/ف).

فقد ختمت سورة «طه» في هذه الأجزاء ـ عدا الأخير منها ـ بما اعتاد عليه المؤلف من ذكر بعض الآثار في فضل السورة التي ينتهي من تفسيرها فكان آخرها قوله: «. . . وعن الحسن أن النبي صلى عليه قال: لايقرأ أهل الجنة من القرآن إلا يس وطـه). .

أما الجزء الأخير منها وهو نسخة (طوبقبو سراي) فقد جاء بعد تلك الخاتمة قول الناسخ : (. . وكان الفراغ من تعليقه في العشر الأواسط من شهر شوال المعظم سنة ٩٨٨)هـ.

وقد جاء في فهرس المكتبة أن هذه النسخة بخط يحيى بن محمد الحنفي سنة (٩٨٧هـ) فلعل هذا التاريخ للجزء الأول دون الثاني.

فمن كل ماتقدم يترجح أن ابن عادل عاش في القرن الثامن. والله أعلم.

علمه ومكانته :

ابن عادل عالم واسع المعرفة، فهو مفسر، محدث، فقيه؛ فأما كونه مفسرا فشاهده تفسيره الموسوعي الكبير: اللباب في علوم الكتاب. إذ يدل على تبحره وسعة علمه واطلاعه على صنوف مختلفة من العلوم والمعارف. فلقد كانت لابن عادل مكانة كبيرة وشهرة عريضة في التفسير في عصره وبعده. دليل كثرة نسخ تفسيره وتفرق أجزائه في مختلف الأقطار والأمصار. فسعة الانتشار دليل الاشتهار.

وكذلك اقتناء بعض السلاطين لنسخ هذا التفسير وعنايتهم به بل لقد صار ابن عادل مضرب مثل في التفسير، فهذا علي بن الأوجلي[٢٢] كتب قصيدة في مدح أبي الوفاء محمد بن عمر بن عبد الوهاب العرضي الشافعي الجلي مطلعها:

تراءت لعيني وهي بالشعر تحجب فخلت شعاع الشمس يعلوه كوكب

إلى أن قال في ثنائه على ممدوحه وأنه جمع أطراف العلوم[٢٣]

إمام وأعنيه المسمى أباالوفا على أنه في العلم بحر يشعب
فقيه أصولي منطقي متكلم بياني عروضي وصوفي معرب
له الباع في التفسير ضاهى ابن عادل وحيث روى الأخبار تدعوه يحصب

فقد جعل الشاعر تفسير ابن عادل مثالا قاس عليه تفسير ممدوحه حين ضاهاه وماثلة.

وهذا محمد بن فضل الله المحبي يمدح محمد الكواكبي ت (١١٢٤هـ). بقصيده مطلعها :

يهيجني للوجد ذكر الحبائب وللمدح أشواق لوصف الكواكب

وفيها يقول[٢٤].

إذا فسروا والتفت الساق بينهم ودارت رحاهم في دقيق التشاعب
فماعدلوا منه بمثل ابن عادل ولا فخروا بالفخر عند الثعالبي
وإن حدثوا قال البخاري ليته تقدمني يوما ليستد جانبي

وهـذا أبو الحسن محمد بن زين العابدين بن محمد البكري الصديقي المصري (ت ١٠٨٧هـ) يقول في رسالة أرسلها ليحيى بن عمر المنقاري وَرَّى وَعرَّض فيها بذكر كثير من الكتب فقال:

«اللهم إني أسألك بأسرار التنزيل التي فاقت البحر والنهر، ويسرت بمعالم تنزيلها المدارك لتسهيل السبيل كل سؤدد وفخر وقضيت بكشف معارفها عن كشاف عوارفها لمن أصبح عادلا وابن عادل. .)[٢٥].

وأما دليل وصفه بالحديث فكونه شيخاً للإمام المحدث نور الدين الهيثمي الذي قرأ عليه بعض أجزاء المعجم الكبير للطبراني.

ولهذا جاء وصفه في ورقة عنوان إحدى نسخ التفسير بأنه «إمام المحدثين» ونص العبارة.

«الجـزء الأول من اللبـاب في تفسير الكتاب العزيز تأليف الإمام العالم العلامة الرَّحلة الفهامة إمام المحدثين، وترجمان المعبرين الإمام ابن عادل الحنبلي. طيب الله ثراه وجعل الجنة مثواه. .)[٢٦].

أما شاهد إمامته في الفقه فشرحه للمحرر لأبي البركان ابن تيمية.

ويمكن أن يستخرج من تفسيره مايدل على أنه لغوي نحوي متكلم نظرا لاهتمامه بهذه المباحث في تفسيره.

شيوخـه. منهـم:

١ ـ محمد بن علي بن ساعد الحلبي سمع عليه ابن عادل بعض أجزاء المعجم الكبير للطبراني[٢٧].

٢ ـ أبو حيان: محمد بن يوسف المفسر النحوي. على ما أشار إليه ابن حميد في كتابه السحب الوابلة[٢٨].

تلاميـذه. منهـم :

١ ـ نور الدين على بن أبي بكر الهيثمي المتوفى سنة (٨٠٧هـ). سمع عليه بعض أجزاء المعجم الكبير للطبراني كما نص الهيثمي على ذلك في مقدمة كتابه مجمع الزوائد[٢٩].

٢ ـ محمد بن أحمد التقي الفاسي المتوفى سنة (٨٣٢هـ) كما صرح بذلك ابن حميد في السحب الوابلة بأنه روى عنه المرويات[٣٠].

مؤلفاته منهـا :

١ ـ اللباب في علوم الكتاب. وهو تفسيره الشهير.

٢ ـ حاشية على المحـرر[٣١] في الفقـه. صرح بذلـك الشيخ ابن حميد في كتابه السحب الوابلة وذكره الزركلي في الأعلام نقل عن صاحب الأزهار الطيبة النشر.

تفسير: اللباب في علوم الكتاب :ـ

تفسير موسوعي ضخم يقع في بعض نسخه في سبعة الآف ورقة وله نسخ كثيرة جدا، وبخطوط جميلة، وعناية فائقة.

ومـا كثرة نسخه وانتشارها مع العناية بها في مختلف البلاد إلا دليل على الشهرة الكبيرة، والمكانة الرفيعة التي كانت ذات يوم لهذا التفسير، وقد وصفه بهذه الشهرة حاجي خليفة في كتابه كشف الظنون بقوله: «وهو تفسير مشهور»[٣٢].

وقال السيد العابد الفاسي ـ مدير خزانة القرويين ـ في معرض حديثه عن إحدى نسخـه بأنـه «.. تفسير جليل عرف بالإجادة والتحرير خاصة في المسائل النحوية والقضايا الفكرية. وللأسف لم نقف لصاحبه على ترجمة بعد طول بحث»[٣٣].

وأثنى عليه السيد محمد راغب الطباخ وصرح بأنه رأى نقولا عنه في عدة كتب[٣٤].

نسخ هذا التفسير الخطية :

لهذا التفسير نسخ خطية كثيرة، وفي أمكنة مختلفة، وغالبها كتب بخطوط جميلة تدل على مدى العناية بهذا الكتاب الكبير وإليك الحديث عن أهمها:

١ ـ توجد نسخة خطية غير كاملة في مكتبة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية تتكون من:

(أ) القسم الأول يقع في مجلدين المجلد الأول برقم (٧٢٤٢) جاء في ورقة عنوانه «الجزء الأول من اللباب [في] تفسير الكتاب العزيز. تأليف الإمام العالم العلاّمة الرحلة الفهامة إمام المحدثين وترجمان المعبرين الإمام ابن عادل الحنبلي طيب الله ثراه، وجعل الجنة مثواه. .» ثم ذكر بعد ذلك بعض الأبيات الشعرية في إعارة الكتب.

وأسطره (٢٩) سطرا في كل سطر نحو (٢٣) كلمة. بخط جميل جدا أوائل فصوله ومبادىء مقاطعه مكتوبة بالحمرة. وكذلك الفواصل بين أشطر أبياته وشواهده الشعرية.

وكل صفحاته معقبة بما يربطها بما بعدها على عادة المتقدمين في هذا الشأن وفيه تعليقات تصحيحية يسيره. ويقع في (١٨٢) ورقة.

والقسم الثاني من المجلد الأول يبدأ من ورقة (١٨٣) حيث ينتهي القسم الأول إلى ورقة (٤٨٧) بترقيم حديث. يبدأ بتكملة القسم الأول بقوله وفي مصحف أبي عبدالله بأن تولوا بزيادة الباء فإن الباء تراه في خبر ليس كثيرا. .».

وجاء في آخره. تم الجزء الأول بحمد الله وعونه وحسن توفيقه ويتلوه إن شاء الله الجزء الثاني. وأوله قوله تعالى: وسارعوا. والحمد لله رب العالمين. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم إلى يوم الدين). .

وخطه جميل جدا. أجمل من القسم الأول. وفصوله ومقاطعه كتبت بالأحمر. وأسطره (٣٧) سطرا، وكلماته (١٥) كلمة. ورقمه في المكتبة (٧٢٤٢).

(ب) المجلد الثاني. ويبدأ بقوله تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ﴾ الآية ويقع

في (٥٦١) ورقة وهو مجلد ضخم أسطره (٣٥) سطرا وكلماته نحو (١٦) كلمه وهو كسابقه في جمال خطه وترتيبه. كتب بقلم خليفة ابن محمد سنة ١١٤٢هـ ورقمه (٧٢٤٣).

(جـ) الجزء الثالث ـ ويبدأ بسورة يونس، وينتهي بآخر سورة المؤمنون يقع في (٥٢٣) ورقة. أسطره (٣٧) سطرا، وكلماته (١٨) كلمة جاء في آخره أن تكملته على يد محجوب بن حسن الشهد. خطه جميل موشى بالحمرة.

٢ ـ نسخة أخرى ذكرها الزركلي في الأعلام توجد في خزانة سراي بمغنيسا ووصفها بأنها: «نسخة سلطانية جميله تقع في (٧٠٠٠) ورقة بقلم واحد، وورق واحد. ورقمها الخارجي (٨٣). وكتب في الداخل بقلم رصاص: (نمرو٨٢) والصفحة الأخيرة بيضاء[٣٥].

٣ ـ نسخة في المكتبة الأحمدية بحلب ويوجد منها أربعة أجزاء:

(أ) جزء برقم (٩٤) وهو من أول التفسير إلى قوله تعالى ﴿وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ فِيٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍ﴾. وجاء في آخره.

«جمعه وعلقه لنفسه عمر بن علي بن عادل النعماني منشأ الحنبلي مذهبا. حرره عبدالرحيم بن عبد الباسط السلموني الحنفي سنة ٩٦٥».

(ب) جزء آخر برقم (٩٥) من أول سورة النساء إلى بعض سورة المائدة ولاتاريخ عليها.

(جـ) جزء ثالث برقم (٩٦) من سورة المائدة إلى آخر الأعراف من غير تاريخ أيضا.

(د) جزء رابع برقم (٩٦) أيضا ـ وأوله سورة التغابن وينتهي بآخر القرآن وجاء في آخره أنه كان الفراغ من كتابته سنة ست وسبعين وثمانمائة[٣٦].

٤ ـ نسخة أخرى تحدث عنها محمد طاهر الفانج فيري في كتابه نيل السائرين معددا أجزاءها الستة ومحدداً بداية ونهاية كل جزء غير أنه لم يشر إلى مكان وجودها أو مصدره في وصفها فقال:

«وله تفسير سماه اللباب في علوم الكتاب مزية الكتاب الجزء الأول منه يبدأ بأول

الكتاب وينتهي بتفسير قوله تعالى: ﴿تِلْكَ ءَايَـٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۚ وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ البقرة/٢٥٢.

والجزء الثاني يبدأ من قوله تعالى ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ البقرة /٢٥٣، وينتهي بتفسير قوله تعالى: ﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۗ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَـٰسِقِينَ﴾ المائدة/٢٦.

والجزء الثالث يبدأ بتفسير قوله تعالى: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ﴾ المائدة/٢٧ وينتهي بتفسير قوله تعالى: ﴿زُيِّنَ لَهُمْ سُوٓءُ أَعْمَـٰلِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾ التوبة/٣٧.

والجزء الرابع منه يبدأ بتفسير قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ ۚ﴾ التوبة/٣٨.

والجزء الخامس منه يبدأ بتفسير أول مريم. وينتهي بتفسير آخر سورة غافر.
والجزء السادس يبدأ بأول سورة السجدة. وينتهي بنهاية الكتاب[٣٧].

٥ ـ نسخة أخرى من هذا التفسير في خزانة القرويين بفاس بالمغرب تقع في ستة أجزاء بخط مشرقي من تحبير أحمد المنصور سنة (١٠٠٨هـ)[٣٨].

٦ ـ نسخة أخرى من هذا التفسير من ضمن مخطوطات خزانة الجامع الكبير بمكناس بالمغرب[٣٩].

٧ ـ نسخة المكتبة الظاهرية.

يوجد بهذه المكتبة أجزاء متعددة لنسخ مختلفة، وإليك إيضاحها:

أ ـ الجزء الأول يبدأ بأول الكتاب وينتهي بتفسير قوله تعالى:
﴿تِلْكَ ءَايَـٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۚ وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ ـ البقرة/٢٥٢
وهي نسخة جيدة بخط نسخ معتاد. أسماء السور والفصول ورؤوس الفقرات مكتوبة بالحمرة. أوراقها (٥٤٦) ورقة. أسطرها ٢٩/٣٣ سطر. مقاسها ٢٨,٥ـ١٨سم. رقمها ٣٩١ (١٨ تفسير).

٢ ـ الجزء الثاني : من النسخة نفسها. يبدأ بتفسير قوله تعالى ؛ ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ البقرة/٢٥٣ وينتهي بتفسير قوله تعالى : ﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ ۚ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ المائدة/٢٦. أوراقها : ٨٤٧ ورقة. مقاسها : ٢٧ ـ ١٨سم. أسطرها ٢٩/٣٣ سطرا. رقمها ٣٩٢ (١٩ التفسير).

٣ ـ الجزء الثالث من النسخة نفسها يبدأ بتفسير قوله تعالى :﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ﴾ المائدة/٢٧. وينتهي بتفسير قوله تعالى ﴿زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ التوبة/٣٧. أورقها ٤٤٦ ورقة. مقاسها ٢٧ـ١٨ سم. أسطرها ٢٩/٣٣ سطرا. رقمها ٣٩٣ (٢٠ التفسير).

نسخة أخرى. ويوجد منها الجزء الرابع يبدأ بتفسير قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ ۚ﴾ التوبة/٣٨ . وينتهي بتفسير آخر سورة الكهف.

وهي نسخة جيدة في أولها لوحة مزينة بالذهب والألوان. وفي الصفحة الأولى والثانية منها إطار مذهب.

وخط نسخها قريب من الجيد والفصول ورؤوس الفقر مكتوبة بالحمرة وبخط أكبر. وأوراقها ٤٠٧ ورقة. مقاسها ٣١,٥ـ٢٠ سم. أسطرها ٣٥ سطرا. رقمها ٣٩٤ (٢١) التفسير).

ناسخها عبد القادر بن عمر سنة ١١٤٦هـ للوزير أسعد باشا (العظم).

(جـ) نسخة أخرى وتبدأ بتفسير أول سورة (مريم) وتنتهي بتفسير آخر سورة (غافر) وجاء في آخرها ـ تم الجزء الثالث.

وهي نسخة جيدة خطها قريب من الجيد فصولها مكتوبة بالحمرة وبالسواد وبخط أكبر. أوراقها ٥٢١ ورقة. مقاساها ٣١ـ٢٠,٥ سم. أسطرها ٣٥ سطرا. رقمها ٣٩٥ (٢٢ التفسير)٨. تاريخ نسخها ١١٦٥ هـ[٤٠]

٨ ـ نسخة دار الكتب المصرية تقع في سبعة مجلدات بقلم معتاد بخطوط مختلفة، بأول بعض أجزائها صورة وقف من السلطان قايتباي على مكة المكرمة. وبها تقطيع

وترقيع. وهي مكتوبة في القرن التاسع الهجري. ورقمها (٢١٦٠٣ب) تفسير. وأجزاؤها:

(أ) الجزء الأول يقع في (١٦٠ ورقة) وينتهي إلى قوله تعالى: ﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ ﴾.

(ب) الجزء الثاني: ويبدأ من قوله تعالى: ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ ﴾ المائدة/٢٧ . وينتهي بانتهاء سورة الأعراف. ويقع في (٣١٥) ورقة.

(جـ) الجزء الثالث. من أثناء سورة الأعراف إلى آخر سورة هود وأوراقه (٢٥٠).

(د) الجزء الرابع من أول سورة يوسف إلى آخر سورة الرعد. وأوراقه (٧٧).

(هـ) الجزء الخامس. من سورة الأنبياء إلى أثناء سورة السجدة وأوراقه (٢٥٧).

(و) الجزء السادس من أثناء سورة غافر إلى آخر سورة الرحمن. وأوراقه (٢٦٦).

(ز) الجزء السابع من أثناء سورة الأحقاف إلى أثناء سورة التغابن وأوراقه (٢١٠)[٤١].

٩ ـ نسخة الخزانة العامة بالرباط.

وتقع في سبعة أجزاء. كتبت بقلم نسخي يعود إلى القرن العاشر الهجري تقديرا. وفي الحاشية تصحيحات كتبت سنة ١١١٤هـ. ورقمها (٢٠٤ (١ـ٢)/٢٠٥.

وقد صورتها جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض وتوجد في خزانة مكتبتها. وإليك وصف أجزائها:

(أ) الجزء الأول. يبدأ بأول التفسير. وينتهي بتفسير الآية (٢١٨) من سورة البقرة. ولوحاته (٣٨١) وأسطره (٣٣) سطرا. ورقمه (٦٢٢٨/ف).

(ب) الجزء الثاني. ويبدأ بتفسير الآية (٢١٩) من سوره البقرة وينتهي بها، ولوحاته (٣٤٣) وأسطره (٣٣) سطرا. ورقمه (٦٢٢٩/ف).

(جـ) جزء آخر. ويبدأ بسورة الإسراء. وينتهي أثناء تفسير الآية (٤٦) من سورة سبأ. ولوحاته (٤٣٨) وأسطره (٢٧) سطرا ورقمه (٦٢٢٧/ف).

(د) الجزء السادس ويبدأ بتفسير سورة فاطر وينتهي بتفسير سورة الواقعة ولوحاته (٤٠٣) وأسطره (٣٣) ورقمه (٦٣٥٩/ف)[٤٢].

(هـ) الجزء السابع ويبدأ بتفسير سورة الحديد وينتهي بآخر التفسير ولوحات هذا الجزء (٣٩٦) وأسطره (٢٧) ورقمه (٦٣٦٠/ف)[٤٢]

وجاء في فهرس المخطوطات العربية المحفوظة بالخزانة العامة بالرياض القسم الثاني الجزء الأول ص (٤٦) ذكر نسخة لتفسير اللباب في علوم الكتاب برقم ٧٠٦ (٨١٩ د). يوجد منها الجزء الأول والثاني والثالث والثامن. بخط مغربي[٤٣]. وأنه كتب في آخر سورة طه أنه فرغ من تفسيرها في (١٥رمضان سنة ٨٨٠-١٤٧٥م).

١٠ - نسخة في مكتبة طوبقبو سراي.

كتبت بقلم - وخطها نسخي دقيق - يحيى بن محمد الحنفي سنة (٩٨٧)هـ وقد صورتها جامعة الإمام. ويوجد منها في مكتبتها:

(أ) الجزء الأول بقسميه: (الأول والثاني) وهو ناقص الأول يبدأ أثناء الكلام عن الاستعاذة وينتهي بتفسير الآية (٢٦) من سورة المائدة ولوحاته (٣٤٩-٣٧٥) وأسطره (٣٩) سطرا. ورقمه (٨٩٠/ف).

(ب) الجزء الثاني ويبدأ بتفسير الآية (٢٧) من سورة المائدة. وينتهي بتفسير سورة (طه). ولوحاته (٤٠٣) وأسطره (٣٩) ورقمه (٨٨٩/ف)[٤٤].

١١ - نسخة مكتبة تشستربتي.

كتبت بقلم نسخي في القرن التاسع الهجري تقديرا. وفي الحاشية تصحيحات.
وهي برقم (٥٠٨٣) في مكتبة جامعة الامام محمد بن سعود الإسلامية وقد كتب يوم الخميس ١٦ ربيع الثاني سنة (٨٧٣) ٣ نوفمبر سنة ١٤٦٨م. ويوجد منها.

(أ) الجزء الثاني وعند أوراقه (٣٠٢).
(ب) الجزء الثالث. ويبدأ بتفسير الآية (١٧١) من سورة آل عمران. وينتهي بتفسير الآية (٧١)٠ من سورة الأنعام.

ولـوحاته (١٧٩) وأسطره (٣٥) سطراً ومقاسه (١٨ـ٢٦) سم. وقد صورته جامعة الإمام ورقمه في مكتبتها (٥٠٨٣/ف).

(جـ) الجزء الرابع. يبدأ بتفسير الآية (٣٨) من سورة التوبة وينتهي بتفسير سورة الكهف.

ولوحاته (٤٨٣) وأسطره (٣٥). ومقاسه (٣, ١٨ـ٢٧) سم.

وقد صورته جامعة الإمام ورقمه في مكتبتها (٥٠٨٣/ف)[٤٥].

ويوجد في مكتبة تشستربتي الجزء الخامس من نسخة أخرى وهو يبدأ بتفسير سورة مريم وينتهي بتفسير سورة القصص. وقد كتب بقلم نسخي في ٢٢ رمضان سنة (٨٦٠)هـ ورقهمه فيها (٣٣٠٨)[٤٦] ولـوحاتـه (٣٦٢). وأسطره (٢٧) ومقاسه (٧, ١٧ـ٧, ٢٦) سم وقد صورته جامعة الإمام ورقمه فيها (٣٣٠٨/ف).

١٢ ـ نسخة مكتبة كوبر يلي.

وهي نسخة كاملة في مجلدين ضخمين كتبها بقلم معتاد ودقيق علي بن فتح الله السليماني سنة (١٠٢٨)). المجلد الأول منها يبدأ بأول الكتبا وينتهي بتفسير سورة الأنفال ولوحاته (٧٠٠) وأسطره (٤١) سطرا ورقمه (٥٥).

وقد صورته جامعة الإمام وهو في مكتبتها برقم (٢٧٤٠/ف).

المجلد الثاني يكمل ماقبله فيبدأ بتفسير سورة التوبة وينتهي بآخر التفسير.

ولوحاته (٨٦٦) وأسطره (٤١) سطرا. ورقمه (٥٦).

ويوجد في مكتبة جامعة الإمام بالرياض برقم (٢٧٢١/ف)[٤٧].

١٣ ـ مجلد من هذا التفسير في المكتبة السليمانية بتركيا بخط نسخ وبرقم (١٣٢)[٤٨].

١٤ ـ نسخة في مكتبة سليم آغا بتركيا ويوجد منها ثلاثة أجزاء. الجزء الأول برقم (٥٩).

وجزء ثانٍ برقم (٦٠) وصفحاته (٦٦٠) وأسطره (٣١).

وجزء آخر برقم (٦١) وصفحاته (٦٤٦) وأسطره (٣١)[٤٩].

١٥ ـ نسختان في مكتبة أيا صوفيا كل منهما في ثلاثة أجزاء أرقامها على التوالي (٢٥٤ـ٢٥٩)[٥٠].

نظرات في تفسيره

استهل ابن عادل تفسيره بخطبة قصيرة وعلى غير عادة كثير من المفسرين في التقديم لتفاسيرهم بمقدمة تتضمن بيان أصول التفسير وقواعده وبعض مباحث علوم القرآن الكريم. فبعد أن حمد الله وأثنى عليه وصلى على رسوله صلى الله عليه وسلم قال مبينا اسم كتابه وبعض عمله فيه:

«فهـذا كتـاب جمعته من أقوال العلماء في علوم القرآن وسميته باللباب في علوم الكتاب، ومن الله أسأل العون، وبلوغ الأمل والعصمة من الخطايا والزلل».

ثم شرع في الحديث عن البسملة والاستعاذة ليشرع بعد ذلك في التفسير غير أن ابن عادل وإن أهمل كتابة مقدمة خاصة لتفسيره فقد اهتم بالمباحث التي يحسن بالمفسر استيفاؤها في تفسيره من عناية بالقراءات. واهتمام بأسباب النزول وجمع بين التفسير بالرواية والرأي وعناية بالغة باللغة التي تعد آلة الفهم وأداة الوصول إلى المعاني. كما اهتم بآيات الأحكام فذكر مذهب الفقهاء وأقوالهم وإن كان قد بالغ وتوسع في بعض المباحث كاللغة العربية والأوجه النحوية، والمباحث الكلامية فأطال في إيراد شُبه المعتزلة والرد عليهم. متابعا الفخر والرازي في ذلك.

وإليك شيئا من تفصيل الحديث عن مصادره ومنهجه وسمات تفسيره مع الأمثلة.

مصـــادره:

سبق تفسير ابن عادل بأمات التفاسير المعتمدة في التفسير فكان الميدان أمامه رحبا في أن ينتقي من بينها ما يشاء ويعتني بما يريد من المباحث وهذا ما فعله حيث يصادف القارىء العديد من علماء التفسير الذين نقل عنهم واستفاد منهم.

فقد نقل عن الطبري، والزمخشري، ومكي بن أبي طالب، وابن عطيه والراغب الأصفهاني والقرطبي، والواحدي، وأبي حيان، والزجاج، وأبي عبيدة، والثعلبي، وحينا عن الجبائي، والقشيري والقفال وغيرهم.

وقد نص في مقدمته القصيرة لتفسيره على أنه جمعه من أقوال العلماء فقال: «فهذا

كتاب جمعته من أقوال العلماء في علوم القرآن وسميته باللباب في علوم الكتاب . . . ».

غير أن أكثر من نقل عنه بإفاضة وإطالة من يسميه بابن الخطيب ويريد به الفخر الرازي ـ محمد بن عمر المتوفي سنة (٦٠٦)هـ صاحب التفسير الكبير: مفاتيح الغيب، حيث يعرف بابن خطيب الري. ومن هنا نجده أغرق وأغرب في المباحث الكلامية على منوال الفخر الرازي فأطال في نقل أقوال المعتزلة وفي الرد عليهم وهو في نقله عنه يصرح بذلك حينا ويترك التصريح حينا آخر وربما نقل عنه عبارته المذهبية بنصها مما قد يوهم بأنه شافعي مثل الرازي[٥١].

عنايته باللغة والنحو:

غني عن البيان القول بأن علم اللغة بما يشتمل عليه من بيان لمعاني المفردات ومعرفة بأصول الكلمات ووجوه اشتقاقها. وعلم بوجوه الإعراب واحتمالاتها وأثر ذلك على المعاني كل ذلك من العلوم التي يحتاجها المفسر ولايستغنى عنها الناظر في كتاب الله بل إن هذا الشرط مهم من شروط التفسير وركن من أركانه التي يقوم عليها بنيانه. ولهذا قال مجاهد بن جبر ـ أحد أئمة التفسير الآخذين عن ابن عباس.

«لايحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يتكلم في كتاب الله إذا لم يكن عالما بلغات العرب»[٥٢].

ويقول مالك بن أنس مبينا أهمية العلم بلغة العرب في التفسير:

«لا أوتى برجل يفسر كتاب الله غير عالم بلغة العرب إلا جعلته نكالا»[٥٣].

لذا فلا غرابة حين نجد ابن عادل يبدي اهتماما كبيرا ملفتا للنظر في تفسيره بالمباحث اللغوية عناية بأصل اشتقاق الكلمات، وتحديداً لمعاني المفردات، وتعداداً للمعاني المحتملة، واستشهاداً على ذلك بالشواهد الشعرية إذ الشعر ديوان العرب.

وإليك بعض الأمثلة الموضحة لمنهجه ومسلكه في تفسيره:

١ ـ بعد أن ذكر إعراب كلمة «ريب» من قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ والخلاف في الوقف عليها قال في بيان معناها وشواهد ذلك مع عناية ظاهرة بالتحديد الدقيق لمعنى المفردة القرآنية.

والريب الشك مع تهمة قال:

ليس في الحق يا أميمة ريب إنما الريب مايقول الكذوب

وحقيقة الريب على ما قال الزمخشري: قلق النفس واضطرابها بها ومنه الحديث: دع مايريبك إلى مالايريبك. وأنه مر بظبي خائف فقال: لايربه أحد. فليس قول من قال: الريب الشك مطلقا بجيد بل هو أخص من الشك كما تقدم.

وقال بعضهم: في الريب ثلاثة معانٍ:
أحدها: الشك قال ابن الزبعري: ليس في الحق يا أمامة ريب.
وثانيها: التهمة قال جميل:

بثينة قالت ياجميل أربتني فقلت كلانا يابثين مريب

وثالثها: الحاجة. قال:

قضينا من تهامة كل ريب وخيبر ثم أجمنا السيوفا

قال ابن الخطيب: الريب قريب من الشك وفيه زيادة. كأنه ظن سوء يقول رابني أمر فلان إذا ظننت به سوءا»[٥٤].

ومن شواهد عنايته باللغة العربية والوجوه النحوية أنه استهل تفسير سورة الإسراء بذكر خلاف النحويين في إعراب لفظة «سبحان» فقال: قوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾ الآية. قال النحويون سبحان اسم علم للتسبيح يقال: سبحت الله تسبيحا فالتسبيح هو المصدر وسبحان اسم علم للتسبيح كقوله: كفرت اليمين تكفيرا وكفرانا. وتقدم الكلام عليه في أول البقرة، ومعناه تنزيه الله من كل سوء. قال مكي: سبحان الله تنزيه الله من كل سوء وهو مروي عن النبي صلى الله عليه وسلم والنصب على المصدرية كأنه وضع موضع سبحت الله تسبيحا وهو معرفة إذا أفرد. وفي آخره زيادتان الألف والنون فامتنع من الصرف للتعريف والزيادتين. وحكى سيبويه أن من العرب من ينكره فيقول: سبحانا بالتنوين وقال أبوعبيد: انتصب على النداء كأنه قال: سبحان الله ياسبحان الذي أسرى بعبده.

قال القرطبي : سبحان اسم موضوع موضع المصدر وهو غير متمكن لأنه لايجري بوجوه الإعراب ولايدخل فيه الألف واللام ، ولم يجز منه فعل ولم ينصرف لأن في آخره زيادتين ومعناه التنزية والبراءة لله من كل نقص فهو ذكر عظيم لله لايصلح لغيره فأما قول الشاعر:

أقول لما جاءني فخره سبحان من علقمة الفاخر

فإنما ذكره على طريق النادر.

روى طلحة بن عبد الله أنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم مامعنى سبحان الله فقال: تنزيه الله من كل سوء.

قال صاحب النظم: التسبيح في اللغة التباعد قال تعالى: ﴿إِنَّ لَكَ فِي ٱلنَّهَارِ سَبۡحًا طَوِيلًا﴾ أي تباعدا طويلا فمعنى (سبح لله) أي بعده ونزهه عما لاينبغي. وللتسبيح معان أخر. .) ثم أخذ في ذكرها وأنه يأتي بمعنى الصلاة، والاستثناء وأن سبحان يكون بمعنى التعجب، واستشهد على ماذكر. وأنت واجد في هذا النقل توسع المؤلف في ذكر وجوه اللفظة إعراباً ومعانيها لغة، والنقول عن أئمة اللغة.

والمؤلف يستطرد في بعض المباحث اللغوية ويتوسع بها لاحاجة إليه ـ غالبا ـ ولايحسن حشره في كتب التفسير. من ذلك ماكتبه عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَٱلَّٰتِي يَأۡتِينَ ٱلۡفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمۡ﴾ من مباحث لغوية عن اللاتي واللغات فيها والخلاف حولها. وهل هي جمع للفظ أو للمعنى.

عنايته بالقراءات :

يعتني ابن عادل بالقراءات وما يترتب على اختلافها من وجوه إعرابية ومعان تقديرية فيذكر القراءات السبعة والشاذة وينسبها لمن قرأ بها. والأمثلة على ذلك كثيرة جدا.

من ذلك ما ذكره من اختلاف القراء في قراءة لفظة «سورة» من أول سورة النور. حيث قال:

«قرأ العامة «سورة بالرفع وفيها وجهان:

أحدهما: أن تكن مبتدأ والجملة بعدها صفة لها، وذلك هو المسوغ للابتداء بالنكرة. وفي الخبر وجهان:

أحدهما: أنه الجملة من قوله: ﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى ﴾ وإلى هذا نحا ابن عطية..

والثاني: أن الخبر محذوف أي فيما يتلى عليكم سورة أو فيما أنزلنا سورة.

الوجه الثاني من الوجهين الأولين أن تكون خبرا لمبتدأ مضمر أي هذه سورة وقال أبو البقاء: سورة بالرفع على تقدير: هذه سورة، أو فيما يتلى عليكم سورة. فلا تكون سورة مبتدأ لأنها نكرة. وهذه عبارة مشكلة على ظاهرها، كيف يقول لايكون مبتدأ مع تقديره لخبرها فيما يتلى عليكم سورة وكيف يعلل المنع بأنها نكرة مع تقديره لخبرها جاراً مقدماً عليها وهو مسوغ للابتداء بالنكرة.

وقرأ الحسن[٥٥] بن عبد العزيز، وعيسى الثقفي، وعيسى الكوفي ومجاهد وأبو حيوة وطلحة بن مصرف في آخرين «سورة» بالنصب، وفيها أوجه:

أحدها: أنها منصوبة بفعل مقدر غير مفسر بما بعده تقديره أتل سورة أو أقرأ سورة.

والثاني: أنها منصوبة بفعل مضمر يفسره ما بعده. والمسألة من الاشتغال تقديره: أنزلنا سورة أنزلناها.

والفرق بين الوجهين: أن الجملة بعد سورة في محل نصب على الأول ولامحل لها على الثاني.

والثالث أنها منصوبة على الإغراء، أي دونك سورة. قاله الزمخشري. وروى[٥٦] أبو حيان حذف أداة الإغراء. واستشكل أبو حيان ـ أيضا ـ على وجه الاشتغال جواز الابتداء بالنكرة من غير مسوغ . . . ».

فأنت واجد في هذا النص حسن العرض والتقسيم. مع التوضيح والتعقيب والمناقشة للأوجه الإعرابية المترتبة على اختلاف القراءات في الآية.

العناية بأسباب النزول :

يهتم ابن عادل في تفسيره بإيراد أسباب النزول ـ كعادة المفسرين ـ لأن معرفة سبب

النـزول طريق قوي في فهم معاني القرآن الكريم. إذ العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب ومعرفة سبب النزول يرفع ما قد يقع من إشكال في فهم معاني الآيات.

وربما أورد للآية الواحدة أكثر من رواية في سبب نزولها.

فقد أورد ـ مثلا ـ الروايات الواردة في نزول آيات اللعان، وآيات الإفك، وآيات النهي عن إكراه الفتيات على البغاء.

فعند قوله تعالى: ﴿وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ﴾ الآية قال بعد أن ذكر ارتباط الآيات بما قبلها، وبين اصطلاح العرب في قولهم للمملوك فتى وللمملوكة فتاة ـ قال:

«فصل: قال المفسرون نزلت في عبد الله بن أبي المنافق، كان له ست جوار: معاذة ومسيكة وأميمة، وعمرة، وأروى وقتيلة،يكرههن على البغاء.وضرب عليهن ضرابا يأخذها، وكذلك كانوا يفعلون في الجاهلية يؤجرون إماءهم فلمَّا جاء الإسلام قالت: معاذة لمسيكة إن هذا الأمر الذي نحن فيه لايخلو من وجهين فإن يكن خيراً فقد استكثرنا منه، وإن كان شراً فقد آن لنا أن ندعه. فشكيا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت الآية.

ثم زاد ثلاث روايات أخرى كلها حول جواري ابن أُبَيْ في إكراهه لهن ونزول الآية بسبب ذلك[٥٧].

مباحث العقائد :

أبدى ابن عادل في تفسيره اهتماماً كبيراً بمباحث العقائد والرد على فرق المتكلمين. فحين يعرض لتفسير آية لبعض الفرق فيها شبهة استدلال يورد وجه استدلالهم ثم يرد عليه.

فقد أطال في مناقشة المعتزلة في عقائدهم. ولاغرو في ذلك فقد اعتمد كثيرا على تفسير الفخر الرازي فنهج منهجه، واقتفى أثره، وأغرق تفسيره بهذه المباحث بل هو ينقلها عنه في أحيان كثيرة.

وهذا مسلك يحجب أثر القرآن الكريم في النفوس وهدايته للناس إذ لاحاجة لهذا

الحجاج ولعلهم قلة أولئك الذين يعدون إغراق التفاسير بهذه المباحث محمدة للمفسر. فحقيقتها مأخذ عليه وهو ماحمل بعضهم على إطلاق العبارة المشهورة في حق تفسير الفخر الرازي بأنه تفسير فيه كل شيء إلا التفسير. ورغم مبالغة هذه العبارة وعدم دقتها في وصف الكتاب وبيان قيمته العلمية الكبيرة، إلا أن لها إيحاء بجنوح هذا التفسير إلى مباحث لاتمس الحاجة إليها فيه. وقد يأخذ تفسير ابن عادل شيئا من معنى العبارة السابقة.

وعلى الرغم من إطالة ابن عادل في المباحث الكلامية والردود على أصحاب الفرق المختلفة فإن الجزم بمذهبه العقدي أمر غير جلي، ذلك أنه ينقل ما قيل في تفسير الآية بعبارة لايسهل معها تبين رأيه إلا حيث نعتبر ما ينقله معبراً عن رأيه. وهو في الجملة مؤول لآيات الصفات.

المباحث الفقهية :

يتعرض ابن عادل في تفسيره للأحكام الفقهية بذكر مذاهب الفقهاء وأقوالهم بإيجاز منسوبة تارة إلى قائلها، وغير منسوبة تارة أخرى، ومن غير استطراد بذكر الأدلة والردود إذ محلها كتب الفقه كما أشار إلى ذلك عند حديثه عن إقامة حد الزنى على الحامل والمريض في تفسيره لسورة النور ـ وهي سورة أحكام وحدود ـ فقال:

(. . . وإذا كان مرضه لايرجى زواله لم يضرب بسياط، بل يضرب بضغث فيه عيدان بعدد ما يجب عليه لقصة أيوب ـ عليه السلام ـ ثم قال: وأدلة جميع ماتقدم مذكورة في كتب الفقه).

والمظنون أن يعتني المؤلف بالمذهب الحنبلي في هذا الجانب ليسد نقصاً في تفسير آيات الأحكام ويبسط وجهة نظر الحنابلة أسوة ببقية المذاهب الأخرى التي أفردت فيها تفاسير خاصة لأيات الأحكام.

غير أن هذا مالم أره واضحاً في تفسيره بل إنه إلى التقصير أقرب فقد طالعت تفسيره لأيات الحدود والأحكام في سورة النور ولم أره يذكرهم كذكره لبقية المذاهب الأخرى. . سوى الإمام أحمد فقد ذكره مرات محدودة معدودة أقل بكثير من ذكره لغيره من الأئمة الآخرين.

من ذلك ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ يَبْتَغُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ﴾ سورة النور/٢٣.

حيث قال في بيان رأي الفقهاء في الأمر بالمكاتبة هنا هل هو للوجوب أو للاستحباب، فقال: (. . . وقال أكثر الفقهاء إنه أمر استحباب. فهو ظاهر قول ابن عباس والحسن والشعبي وإليه ذهب مالك وأبو حنيفة والشافعي والثوري وأحمد. . .)[٥٨].

وأحيانا يورد بإيجاز استدلالات الفقهاء على بعض المسائل من ذلك ماذكره من خلاف في وجوبالقراءة في الصلاة. فقال:

قال ابن الخطيب: أجمع الأكثرون على أن القراءة واجبة في الصلاة.

وعن الأصم والحسن بن صالح أنهما قالا: لاتجب.

لنا: الأدلة على وجوب قراءة الفاتحة. وهو يدل على أن أصل القراءة واجب وتزيد منها وجوها:

الأول في قوله تعالى: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ﴾ والمراد بالقرآن القراءة. والتقدير: أقم قراءة الفجر فظاهر الأمر للوجوب.

الثاني: عن أبي الدرداء أن رجلا سأل النبي صلى الله عليه وسلم فقال أفي الصلاة قراءة؟ فقال: نعم. فقال السائل: وجبت. فأقر النبي صلى الله عليه وسلم ذلك الرجل على قوله: وجبت.

الثالث: عن ابن مسعود أن النبي صلى الله عليه وسلم [سئل][٥٩] يقرأ في الصلاة؟ قال عليه الصلاة والسلام: أتكون صلاة بغير قراءة؟

[و][٦٠] هذان الخبران نقلتهما من تعليق الشيخ أبي حامد الإسفراييني. حجة الأصم: قوله عليه الصلاة والسلام: صلوا كما رأيتموني أصلي. جعل الصلاة من الأشياء المرئية[٦١] والقراءة ليست مرئية فوجب كونها خارجة عن الصلاة.

والجواب أن الرؤية لما كانت متعدية إلى مفعولين كانت بمعنى العلم، ثم ذكر بعد ذلك أقوال العلماء في وجوب قراءة الفاتحة وعدمه فأطال في ذلك. غير أنك تلاحظ أن

ماذكره إنما هو نقل عن الفخر الرازي في تفسيره وأنه متابع له حتى في عبارته المذهبية نحو:

ولنا، وقلنا، ودليلنا، حتى ولو لم يصرح بنقله عن الفخر الرازي.

وهذا يحمل من يظن أن العبارة لابن عادل، على أنه شافعي في مذهبه الفقهي مضافا لذلك قلة ذكره لآراء الحنابلة في تفسيره.

وهذا خلاف لما هو مشهور من أنه حنبلي وأنه قد شرح المحرر لابن تيمية.

وأخيرا فقد اتجهت جهود الباحثين للعناية بهذا التفسير الكبير فقام الباحث مناع ابن محمد القرني بإعداد أطروحته لدرجة الدكتوراه عن هذا الكتاب بعنوان: «منهج ابن عادل في تفسيره اللباب في علوم الكتاب وتحقيق تفسير سورة الفاتحة». مقدمة إلى قسم القرآن الكريم وعلومه في كلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الرياض وقد تمت مناقشة الرسالة.

كما تم أخيراً تحقيق الكتاب كاملاً في نحو تسع أطروحات كاملة مقدمة لكلية اللغة العربية في جامعة الأزهر بمصر. منها:

١ ـ دراسة أحمد الزين علي العزازي بعنوان: ﴿اللباب في علوم الكتاب لأبي حفص عمر بن عادل الدمشقي من أول الاستعاذة إلى قوله تعالى؛ ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ﴾ الآية ١٥٧ من سورة البقرة، دراسة وتحقيق.

٢ ـ دراسة إبراهيم السيد إبراهيم بدوي بعنوان: دراسة وتحقيق المسائل النحوية واللغوية من كتاب اللباب. أتم به عمل الباحث السابق إلى نهاية سورة البقرة.

الهوامـــش

(١) نبهني لذلك فضيلة الدكتور الفاضل: عبد الرحمن بن سليمان العثيمين. كما ذكر لي وجود كلمة أخرى عنه في مجلة: لغة العرب. لم أتمكن من الوقوف عليها رغم البحث عنها.

(٢) مثل: طبقات المفسرين للداودي، وللسيوطي وطبقات الحفاظ له، والضوء اللامع للسخاوي، ونظم العقيان للسيوطي، والدرر الكامنة لابن حجر، والبدر الطالع للشوكاني، وذيل تذكرة الحفاظ للذهبي، وابن فهد المكي، وللسيوطي. وشذرات الذهب لابن العماد الحنبلي. والدليل الشافي لابن تغرى بردي والكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة لنجم الدين الغزي، والنعت الأكمل، ومختصر طبقات الحنابلة لجميل أفندي الشطي، والمنهج الأحمد للعليمي.

ومن المخطوطات: العطاء المعجل لابن المبرد يوسف بن حسن الحنبلي، ورفع النقاب عن تراجم الأصحاب لابن ضويان، وذيل طبقات ابن رجب لابن عبد الهادي، والمقصد الأرشد لابن مفلح.

(٣) انظر: مجمع الزوائد للهيثمي (١/١٢). وهدية العارفين (١/٧٩٤). والأعلام للزركلي (٥/٢٥٨). ومعجم المؤلفين لعمر رضا كحالة (٧/٣٠٠).

(٤) مجمع الزوائد للهيثمي (١/١٢).

(٥) انظر مخطوطة السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة للشيخ محمد بن عبد الله بن حميد ص (٣١٣) مكتبة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض. رقم (١٠٢١١).

(٦) انظر: معجم الدراسات القرآنية د. ابتسام مرهون الصّفار ص (٣٣٢). فعل ما ذكرته نقلا عن نسخة معهد المخطوطات التي أشارت إليها.

(٧) انظر هدية العارفين (١/٨٩٤).

(٨) انظر فهرس المكتبة الأحمدية بحلب، ومجلة مجمع اللغة العربية بدمشق مجلد (٢٠) ص (٣٨١-) مقال بعنوان ترجمة مفقودة للسيد محمد راغب الطباخ.

(٩) انظر معجم ما استعجم للبكري (٢/١٣١٦-).

(١٠) انظ هدية العارفين لإسماعيل باشا البغدادي (١/٧٩٤).

(١١) معجم المؤلفين (٧/٣٠٠).

(١٢) هو الشيخ محمد طاهر الفاتح فيري. نسبة إلى مدينة «فاتح فير» بباكستان وهو أحد علمائها المعاصرين. ولد سنة (١٣٣٥) هـ. وقد توفي - رحمه الله - أخيرا. انظر كتابه: نيل السائرين في طبقات المفسرين ص (٣٦٧) حيث ترجم لنفسه.

(١٣) انظر نيل السائرين في طبقات المفسرين ص (٢٤٣).

(١٤) انظر ذيل الأدب العربي. لكارل بروكلمان (٣/ ١٤٠) بالألمانية.

(١٥) انظر الأعلام لخير الدين الزركلي (٥/ ٥٨). ومعجم المفسرين لعادل نويهض (١/ ٣٩٨).

(١٦) انظر مخطوطة السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة ص (٣١٣).

(١٧) انظر المرجع السابق نفسه. ص (٣١٣).

(١٨) انظر مجمع الزوائد ومنبع الفوائد لنور الدين الهيثمي (١/ ١٢ ـ ١٣).

(١٩) رقم النسخة (٩٦) مكرر. وانظر مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق مجلد (٢٠/ ٣٨١ـ) مقال للسيد محمد راغب الطباخ بعنوان: ترجمة مفقودة.

(٢٠) انظر فهرس مكتبة تشستربتي وضع آرثر (جي) آربرى (٢/ ٢٨) رقم (٣٣٠٨).

(٢١) المصدر السابق (٧/ ٢٨) رقم (٥٠٨٣).

(٢٢) نسبة إلى مدينة أوجله جنوب برقة في المغرب العربي.

(٢٣) انظر نفحة الريحانة ورشحة طلاء الحانة للمحبي. تحقيق د. عبدالفتاح الحلو (٥/ ٩ـ).

(٢٤) انظر ذيل نفحة الريحانة ص (٣٤٧).

(٢٥) انظر نفحة الريحانة (٤/ ٤٨٧).

(٢٦) راجع هذه النسخة في مكتبة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض. رقم (٧٢٤٢/خ).

(٢٧) انظر مجمع الزوائد للهيثمي (١/ ١٣).

(٢٨) انظر مخطوطة السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة لابن حميد ص (٣١٣) مكتبة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية رقم (١٠٢١١).

(٢٩) انظر مجمع الزوائد للهيثمي (١/ ١٣).

(٣٠) انظر مخطوطة السحب الوابل على ضرائح الحنابلة لابن حميد ص (٣١٣) مكتبة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية رقم (١٠٢١١).

(٣١) المحرر أحد مختصرات الفقه الحنبلي من تأليف مجد الدين أبي البركات ابن تيمية (ت ٦٥٢)هـ.

(٣٢) انظر كشف الظنون لحاجي خليفة (٢/ ١٥٤٣).

(٣٣) انظر مقال خزانة القرويين ونوادرها بقلم العابد الفاسي ص (٨) في مجلة معهد المخطوطات. مايو عام ١٩٥٩م.

(٣٤) انظر مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق المجلد ٢٠/ ٣٨٣ـ عام ١٣٦٤هـ ـ ١٩٤٥م.

(٣٥) انظر الأعلام للزركلي (٥/ ٥٨).

(٣٦) انظر مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق المجلد ٢٠/ ٣٨١.

(٣٧) انظر نيل السائرين في طبقات المفسرين ص (٢٤٣).

انظر: فصلة «خزانة القرويين ونوادرها» ص(٨) بقلم العباد القاسي وهي مستلة من مجلة معهد المخطوطات مايو ١٩٥٩م.

(٣٩) انظر: فصلة «معرض المخطوطات بمكناس للسيد محمد المتوني ص (١٠٧) وهي مسئلة من مجلة تطوان العدد ٣ـ٤ عام ١٩٥٨م.

(٤٠) انظر فهرس مخطوطات المكتبة الظاهرية. وضع . د. عزة حسن. (١/ ٢٨١ـ٢٨٤).

(٤١) انظر: فهرس المخطوطات بدار الكتب المصرية. تصنيف فؤاد سيد. القسم الثاني ص ٢٧٦.

(٤٢) انظر المخطوطات والمصورات بجامعة الإمام (٢/١١٨-).

(٤٣) ويوجد الجزء الأول من هذه النسخة في مكتبة جامعة الإمام برقم (٦٢٥١/ف).

(٤٤) انظر فهرس مخطوطات مكتبة طوبقبو سراي (١/٥٤٨) وفهرس المخطوطات والمصورات بجامعة الإمام (٢/١٨٩).

(٤٥) انظر فهرس مكتبة تشستربتي (٧/٢٨) رقم (٥٠٨٣).

(٤٦) انظر فهرس تشستربتي (٢/٢٨).

(٤٧) انظر فهرس مكتبة كوبريلي ص ٥ وفهرس المخطوطات والمصورات بجامعة الإمام بالرياض (٢/١٨٨). وللكتاب نسخ أخرى في الجزائر، وتونس، ورامبور. وتركيا انظر ملحق بروكلمان (٢/١٤٠).

(٤٨) فهرس المكتبة السليمانية «دفتر كتبخانة سليمانية» ص (١٢).

(٤٩) فهرس مكتبة سليم أغا ص (٩).

(٥٠) فهرس مكتبة أيا صوفيا بتركيا ص ١٨.

(٥١) وازن بين ما كتبه الرازي في تفسيره (١/٥١-٦٠) عن وقت الاستعاذة والخلاف فيه - مثلا - وما في تفسير ابن عادل تجده نقلا حرفيا عن الفخر الرازي.

(٥٢) انظر البرهان في علوم القرآن (١/٢٩٢).

(٥٣) انظر البرهان في علوم القرآن (١/٢٩٢).

(٥٤) انظر تفسير ابن عادل (١/١/٢٩) وتفسير الفخر الرازي ٢/١٨.

(٥٥) كذا في الأصل. وفي البحر المحيط (٦/٤٢٧) عمر بن عبد العزيز.

(٥٦) كذا في الأصل. والمراد أن أبا حيان لم يجز حذف أداة الإغراء. انظر البحر المحيط (٦/٤٢٧).

(٥٧) انظر تفسير ابن عادل المخطوط ص (٤٩٠) مكتبة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض رقم (٦٢٢٧/ف) عن مصورة نسخة الخزانة العامة بالرباط.

(٥٨) انظر اللباب في علوم الكتاب لابن عادل ص (٤٨٩) نسخة رقم (٦٢٢٧/ف) مكتبة جامعة الإمام.

(٥٩) ما بين المعقوفتين ساقط من الأصل وزيادته من تفسير الفخر الرازي (١/١٨٨).

(٦٠) ما بين المعقوفتين ساقط من الأصل وزيادة من تفسير الفخر الرازي (١/١٨٨).

(٦١) في المخطوطة «المرتبة مرتبة» وما أثبته من تفسير الفخر الرازي (١/١٨٩). وهو مقتضى السياق.

فهرس المصـــادر

١ ـ الأعلام لخير الدين الزركلي. ط ٣.
٢ ـ البرهان في علوم القرآن لبدر الدين الزركشي. ط ٢.
٣ ـ البحر المحيط، لأبي حيان.
٤ ـ ذيل الأدب العربي، كارل بروكلمان.
٥ ـ ذيل نفحة الريحانة.
٦ ـ السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة، للشيخ محمد بن عبد الله بن حميد. «مخطوط» مكتبة جامعة الإمام رقم (١٠٢١١).
٧ ـ فهرس المكتبة الأحمدية بجلب.
٨ ـ فهرس مخطوطات المكتبة الظاهرية. وضع د. عزة حسن.
٩ ـ فهرس المخطوطات والمصورات بدار الكتب المصرية، تصنيف فؤاد سيد.
١٠ ـ فهرس المخطوطات والمصورات بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.
١١ ـ فهرس مخطوطات مكتبة طوبقبو سراي.
١٢ ـ فهرس مكتبة كوبر يلي.
١٣ ـ فهرس مكتبة تشستربتي. وضع آرثر (جـي) أريري.
١٤ ـ فهرس مكتبة السليمانية.
١٥ ـ فصلة «معرض المخطوطات بمكناس» للسيد محمد المنوني وهي مستلة من مجلة تطوان العدد ٣ـ٤ عام ١٩٥٨م.
١٦ ـ فهرس مكتبة سليم آغا.
١٧ ـ كشف الظنون لحاجي خليفة.
١٨ ـ اللباب في علوم الكتاب، لابن عادل الحنبلي.
١٩ ـ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد لنور الدين الهيثمي.

٢٠ ـ مجمع المؤلفين، رضا كحالة.
٢١ ـ معجم الدراسات القرآنية، د. ابتسام مرهون الصفار.
٢٢ ـ معجم ما استعجم، للبكري.
٢٣ ـ معجم المفسرين، لعادل نويهض.
٢٤ ـ مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق. مجلد (٢٠).
٢٥ ـ مجلة معهد المخطوطات عدد مايو عام ١٩٥٩م.
٢٦ ـ نفحة الريحانة ورشحة طلاء الحانة، للمحبي تحقيق د. عبد الفتاح الحلو.
٢٧ ـ نيل السائرين في طبقات المفسرين، للشيخ محمد طاهر الفانج فيري.
٢٨ ـ هدية العرافين، لإسماعيل باشا البغدادي.